الشان من الطبقة الثانية . وقد اشاد معبدًا جميلًا للكرسي الاسقفي في لاسا . (في جرود الفتوح من قضاء كسروان) وقد عرفه الجميع مقدامًا غيورًا يتفانى في الخير العام اطال الله ايّام رئاسته لنفع الابرشية والطائفة (ستأتي البقيّة)

التشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية

بحث للاب لويس شيخو اليسوعيّ مدرس الآداب العربية في المكتب الشرقي (تتمّة)

٢١ البطرك والبطريق (تابع)

وقال امية بن ابي الصلت في البطريق :

من كلّ بطريقٍ لطسريق تقيّ الوجه واضحْ

وكذلك انشد ابن بريّ (التاج ٦ : ٢٩٦) :

فلا تنكروني انّ قومي اعزّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوه كرامُ

٢٢ الحبر

الحبر الرجل العالم وقيل الصالح من العلماء . وقد وردت في الشعر القديم بمعنى زعيم الدين (راجع شعر أيمن بن خُرَيم ص ٦٢٢) . وروى ابن هشام (في سيرة الرسول ص ٣٨٤) :

لو كنت مرتضيًا في القُوس أفتني منها الكلام وربّاني احبارِ

قال ابن هشام : « الربانيّون والاحبار العلماء الفقها السادة » . ولمّا ذكر القُوس عيّن معنى علماء النصارى . وقال : « افتني لغة تميم وفتني لغة قيس » . وتأتي الحبر بمعنى كبير اليهود قال الشمّاخ (راجع اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطّ عبرانيّةً يومَ بيعه بكفّ حبرٌ ثم عرّض اسطرا

٢٣ القسّ

قال في اللسان (٨ : ٥٨) وفي التاج (٤ : ٢١٦—٢١٧) : القسّ رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم . ومثلهُ القسيس وجاء جمعها على قساقسة . قال عبدالله بن زبير لحجار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٦) :

وعندك قسّيس النصارى وصُلبها وغايةٌ صهباء مثل جنى النحلِ

وقال الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضت لأيلي قسّ أشمّ في ميكلٍ مندسّ من اليها كعنين الطسّ

وقال امية بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢١٧) :

لو كان منفلتٌ كانت قساقسةٌ بجيهم الله في ايدجم الزُّبرُ

وقال حسّان (المعرّب للجواليقي ص ٣٩) :

مبتّحنّ توماء والناقوسُ يقرعهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تجفُ

٢٥ الشمّاس

هي لفظة سبقت الاسلام كما ترى في كتاب الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي الحماسة (ص ٢٥٥) ولم نجدها في شعر قديم . وقد جمعها البحتري (راجع ياقوت ٢ : ٨٣٠) على شمامس حيث قال :

« بين الشمامس والقسوس »

٢٦ الراهب

قد تكرّر اسمهُ في الشعر القديم . ووصف الشعراء احوالهُ ودعوهُ باسماء شتّى . قال الاعشى (التاج ١ : ٢٨٠) :

حلفتُ بثوبَي راهب الدير رانيٍ يناهُ قصيٌّ والمضاضُ بن جُرهمِ

اراد بثوبيهِ مِسحيهِ كما قال الآخر (التاج ٨ : ٦٩) :

لا وصلَ اذ صرمت هندٌ ولو وقفتْ لاستفتنّني وذا المِسحين في الغُوَرِ

وكان الرهبان يسكنون في اعالي الجبال انشد ابن الاعرابيّ (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلّمت رهبان دير في القُلَلْ لانحدر الرهبان يمشي فنزل

قالوا الرهبان هنا مفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبيّ يصف مقام الراهب وصلاتهُ وتنسّكهُ (الاغاني ١٩ : ٩١) :

لو انّما عرضت لأشمط راهبٍ في رأس مشرفة الذرى متبتّلِ
جثّار ساعاتِ النهار لربّهِ حتّى تخدّد لحمهُ مستعملِ
لصبا لهيجتها وحسن حديثها ولهمّ من ناقوسهِ يتترّلِ

ويروى : « مشمعل » بدلاً من مستعمل . وقال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وسربِ نساء لو رآهنّ راهبٌ لهُ ظلةٌ في فلّةٍ ظلّ راتبا

يقال رنا اليه اي طرب لحديثه . واكثر الشعراء من ذكر رهبان ناحية مدين . قال كثيّر عزّة (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُهم يبكون من حذرِ العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرّوا لعزّة ركّعاً وسجودا

وقال جرير ايضاً (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ لو رأوكِ تنزّلوا والعصمُ من شمَعَف الجبالِ الهادرِ

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرة اذ تلقى جنوداً وبمُرا
منعناهُ من طيبا سعدٍ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبان باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

ومما اكثر منهُ الشعراء ذكر مصباح الراهب يوقدهُ ليلاً لصلاته فيُرى عن بُعد ويقبل اليهِ الغرباء . قال امرؤ القيس في معلّقته يصف لمعان البرق :

أصاحِ ترى برقاً أُريك وميضَهُ كلمعِ اليدين في حبيٍّ مكلّلِ
يُضيء سناهُ او مصابيحُ راهبٍ أمال السليطَ بالذُّبالِ المُفتّلِ

وقال ايضاً (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

وهو القائل ايضاً (ص ١٤٨ من ديوانه) :

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ مُمسى راهبٍ متبتّلِ

وكذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتعبُّدهم وتشعُّث لمّتهم زهداً وصومهم . قال منظور الاسدي (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢) :

كأنّ مهواهُ على الكَلكَلِ مرقعُ كفّيْ راهبٍ يصلّي
يازلِ وجناء او عيلٍ في غَبَشِ الصبح او الطلّي

وقال صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والذيليات) :

واللهِ لو اسمعت مقالتها شيخاً من الشُّمّ رأسهُ لبدُ
مآبهُ الروم او تنوخُ او الآ طامُ من حورانَ او زَبدُ
لفاتح البيعَ يوم رؤيتها وكان من قبلُ بيعهُ لكد

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

من راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ حادي النهار لليلهِ متهجّد

(قال) قهل الجلد وتقهّل يبس . وقال النابغة (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١١) :

لو انّها عرضت لاشمطَ راهبٍ عبد الاله صَرُورةٍ متعبّدِ
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها وخالهُ رشدًا وان لم يَرْشُدِ

وربّما دعوا الراهب بالابيليّ والايل كما مرّ . قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٥) :

أتني واقدٍ فأقبل خلفي بأيلٍ كلّما سلّى جأرْ
مرعدٍ احشاؤهُ في هيكلٍ حسنٍ بثّهُ وافي الشَّعَرْ

وعُرف الرهبان ايضًا بصلاتهم العمومية وبتلاوتهم الزبور . قال امرؤ القيس (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) يصف رسوم الدار :

أتت حججٌ بعدي عليهِ فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

٢٧ القُدس والمقدّس واورشليم

عُرف النصارى قديمًا بزيارتهم للاماكن المقدّسة لا سيّما مدينة القدس والى ذلك اشار الشعراء القدماء . قال بعضهم (التاج ٤ : ٢١٣) :

لا نومَ حتّى خبطي ارضَ القُدُسْ وتشربي من خير ماء بقُدُسْ

(قال) اراد الارض المقدّسة . ومثلهُ قول الحجّاج (اللسان ٨ : ٥١) :

قد علم القُدُّوسُ مولى القُدسِ انّ ابا العبّاس اولى نفسِ
بمدنِ الملك القديم الكرسيّ

(قال) القدس البيت المقدّس لانّهُ يُتطهّر فيهِ من الذنوب او للبركة التي فيهِ . ودعاهُ الاعشى باسمهِ القديم اورشلم . قال (راجع ياقوت ١ : ٤٠٢) :

وطوّفتُ للمال آفاقهُ عُمانَ فحمص فاورشلمْ
اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارض النيطِ وارض العجمْ

ودعاه الفرزدق باسمهِ الروماني ايليا (Ælia) قال (ياقوت ١ : ٤٢٤) :

وبيتٌ بأعلى ايلياء مشرف

وانشد لاعرابي يصف بعيرهُ (١ : ٤٢٥) :

فلو انّ طيرًا كُلّفت مثل سيرهِ الى واسطٍ من ايلياء كلّتِ

سمى بالمهارى من فلسطين بعد ما دنا الفيء من شمس النهار فولت
فما غاب ذاك اليوم حتى أناخها بعسفان قد ملت عراها فكلت

والمقدس عندهم الذي يزور القدس. قال امرؤ القيس (راجع ديوانه ص ١٣٦) وهو يصف ثوراً ادركته الكلاب فقطعت جلده :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس

قال في اللسان (٨ : ٥٠) : شبرق جلده اي قطعه . ويقول قطعه الكلاب كما شبرق ولدان النصارى ثوب الراهب الذي جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركاً وكانوا يتبركون به وبمسحه الذي هو لابسه وأخذ خيوط منه حتى يتمزق عنه ثوبه . قيل والمقدس الحبر . اه

٢٨ ذكر ثياب النصارى

وصف النابغة ثياب النصارى الغسانيين حيث قال (العقد الثمين ٤) :

رقاق السال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب
تخيرهم بيض الولائد بينهم واكمة الاضريج فوق المشاجب

قالوا الاضريج الخز الاحمر . وقد مر في بيت سابق ان البطرك يلبس ربطاً كتان . ومما يشير الى انتعالهم قول الشماخ (راجع اللسان ١٨ : ٣٠٤ والتاج ٢ : ٥٠) يصف نعاماً في برية :

ودوية قفر تمشى نعامها كمشي النصارى في خفاف اليرندج

(قال) اليرندج فارسي معرب « رندة » وهو جلد اسود تصل منه الخفاف . وكذلك كان العباديون ينتعلون بالأمواق . قال النمر بن تولب (التاج ٧ : ٧٣ واللسان ٢٢ : ٢٢٧) :

فترى الناج جا تمشى خلفه مشي العباديين بالامواق

قال ابن سيده : الموق ضرب من الخفاف جمعه امواق وقيل خف غليظ يلبس فوق الخف . وكانوا ايضاً يلبسون الآخني . قال البعيث :

فكر علينا ثم ظل يجره كما جر ثوب الآخني المقدس

(قال) الآخني الثياب المخلطة وقيل اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى . والمقدس مر ذكره . وقال ابو الخراش :

كأنَّ الملاء الغضَّ خلفَ كراعهِ اذا ما خطى الآخيُّ المخذَّمُ

٢٩ الإران

هو تابوت كان يحمل عليهِ النصارى موتاهم كما نصَّ عليهِ شارح معلَّقة طرفة في قولهِ يصف ناقتهُ :

امون كألواح الإران نأتها على لاحبٍ كأنهُ ظهرُ برجدِ

وقال الاعشى (راجع لسان العرب ١٦ : ١٣٥) :

اثرت في جانبٍ كإران المَيْـ ـت عُولِجَ فوق عُوجٍ رسالِ

هذا وفي الشعر القديم ايضاً اشارات أُخرى الى عادات نصرانيَّة تراها في قصائدهم من ذلك قول ذي الرُّمة (ديوانهُ المخطوط نسخة مكتبتنا ص ٥٧) :

ولكنَّ اهل امرئ القيسِ سُتْرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازيرِ والخمرُ

وكقول اميَّـة بن ابي الصلت يشير الى اصحاب الكهف الذين رقدوا في افسس (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥) :

وليس بها الَّا الرقيم مجاورًا وَصِيدَمُ والقومُ في الكَهْفِ

واختلفوا في شرح الرقيم فقيل انهُ الجبل الذي كانوا فيـهِ وقيل بل وادٍ وقيل هو اللوح الذي عليهِ كانت اسماؤهم (راجع مجاني الادب ٢ ص ٢٣٦)

وكذلك قد ورد في آثار الجاهليَّة الفاظ أُخرى نصرانيَّة لم نجد عليهـا شواهد في الشعر وانَّما وردت في الروايات القديمة ونُقلت في معاجم اللغة . فمن هذه الالفاظ ما هو معرَّب كالطران والاسقف والشمَّاس والكرخ والمِدْرَعة ومنهـا ما هو عربيٌّ محض كقولهم : وَقَّه النصرانيّ وتنخَّس ؛ ولعلَّنا نجمع هذه الالفاظ في مقالة مستقلَّة . ان شاء الله

(انتهى)